

تكوين الطالب المستمر وفاعليته في إنجاز مذكرة التخرج

كاري نبيلة / جامعة طاهري محمد، بشار

المير بومدين / جامعة طاهري محمد، بشار

ملخص :

هذه الدراسة¹ موجهة - في أصلها - للطلبة، إذ هي تحاول معالجة موضوع طالما يؤرقهم وهو مذكرة التخرج وكيفية إنجازها. وإنجاز المذكرة على أكمل وجه هو أمر يمكن أن يصل إليه الطالب بالاستعداد المبكر، ذلك أن الدراسة الجامعية كلها من سنتها الأولى هي تحضير للطالب بكل الوسائل ليكون مستعداً في سنته الثالثة من الليسانس أو سنته الثانية من الماستر للعمل عليها وتحسينها لتكون في مستوى الأبحاث العلمية الأكاديمية التي تقدم خدمة للفرد - بداية بالطالب - والمجتمع والوطن ككل، ولكي يُفتح له بعدها طريق البحث العلمي الواعد.

إذ إن القيام ببحث علمي صحيح لا يتجسد بين يوم وليلة، لذا ينبغي على الطالب أن يتبع مجموعة من التوجيهات ويطبقها طوال مساره الدراسي الجامعي، لكي يصل إلى النتائج المرجوة من هذه الدراسة.

Abstract:

This study is addressed - in its origin - for students, as it is trying to treat a subject that has long troubled them, which is the memorandum of graduation and how to accomplish it. And the completion of the memorandum of graduation to the fullest is possible for the student with early preparing. since the university study is all from the first year is preparing the student by all means to be ready in the third year of the Bachelor's or the second year of master to work on it and reflect it to be at the level of academic scientific research that Providing service to the individual - beginning with the student - and the community and the nation as a whole, and to open the path of scientific research promising.

As the true scientific research does not take place between day and night, so students should follow a set of guidelines and applies them throughout their academic path, in order to reach the desired results of this study.

الكلمات المفتاحية : مذكرة، بحث، علمي، منهجية، منهج، باحث.

¹ هذه الدراسة هي في أصلها مداخلة في ندوة بعنوان مقومات نجاح المذكرة، بكلية الآداب واللغات، جامعة طاهري محمد بشار يوم 11-04-2017

مقدمة : مذكرة التخرج هي الفاتحة التي يبدأ بها الطالب والباحث العلمي طريقه نحو عالم البحث العلمي الواسع والمتشعب. هذا البحث العلمي الذي تظهر آثاره واضحة للعيان على دول الغرب في كل نواحي حياتها العلمية، نظرا لما توليه، ويوليه أفرادها من اهتمام بالبحث، وما تسخره له من أموال طائلة، وجهود بشرية، ومخابر ومعامل ومؤسسات. أما الدول العربية فلا تزال تخطو نحو ركب التنمية والعلم، ولا زال أبنائها لم يستوعبوا بعد ما للبحث العلمي الرصين والجاد من نتائج خطيرة وهامة، تتغير بها البلاد والنفوس، وتتطور إلى الأحسن.

1- ما هي مذكرة التخرج:

مذكرة التخرج هي بحث علمي أكاديمي، يتناول إشكالية معينة اعتمادا على منهج مناسب للدراسة، ووفقا لمنهجية علمية أكاديمية متعارف عليها، و" يُعتبر البحث وسيلة منهجية للاكتشاف والتفسير العلمي والمنطقي للظواهر، والاتجاهات، والمشاكل"¹. وإن نظرنا إلى مذكرة التخرج من وجهة نظر أخرى، يمكننا أن نقول بأنها ثمرة لجهد الطالب خلال سنوات دراسته، ومحصلة للمعارف والخبرات والتقنيات والمهارات التي اكتسبها طوال هذه السنوات؛ من خلال المواد المقدمة في المحاضرات، ومن خلال البحوث الصفية التي ينجزها تكليفا من أساتذته، ومن خلال القراءة الواسعة أو المتخصصة. إن مذكرة التخرج هي " الوجه الآخر لها، وجه الكشف والعطاء"²

وما مذكرة التخرج إلا مرحلة درية، يتعلم الطالب فيها كيف يبحث عن المصادر والمراجع المهمة في بحثه، وكيف يجمع المادة العلمية ثم ينسقها ويوبها، وكيف ينظم هذه المادة ويستغلها أحسن استغلال في صياغة بحثه، بأسلوبه الخاص وشخصيته المتفردة. لينطلق بعدها في إنجاز أبحاثه المستقبلية وقد اكتسب خبرة ومهارة ودربة.

2- متى يحضر الطالب نفسه لإنجاز مذكرته :

مذكرة التخرج هي عمل علمي يتطلب تحضرا مسبقا وخبرة في إنجاز الأبحاث العلمية، ومهما حاول الطالب فإنه من الاستحالة بمكان أن يحصل هذه الخبرة أثناء بدئه الفعلي فيها، أي أثناء سنته الثالثة من مرحلة الليسانس، وما يشهده الواقع الفعلي من رداءة الأبحاث ومعاونة الأساتذة المشرفين لتصحيحها وتقويمها منهجيا وفكريا ولغويا، يدل على أن معظم الطلبة لا يستفيدون من سنوات دراستهم الجامعية في تحصيل الخبرة المؤهلة لهم لإنجاز أبحاث علمية مقبولة.

ومن أجل أن يتفادى الطالب الوقوع في مثل هذا المأزق، لا بد أن يبدأ تحضير نفسه لإنجاز مذكرته منذ سنته الأولى، فبما أن المذكرة هي محصلة وتبويب لمجهودات سنوات الدراسة، فلن يتمكن الطالب من تحضير مذكرته إن لم يكن لديه زاد معرفي ولغوي، يكتسبه ابتداء من سنته الأولى، عن طريق استيعاب محاضراته، والتوسع فيها من خلال القراءة والاطلاع. ولن يتمكن

¹ عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، د/ط، د/ت، ص 26.

² شحادة الخوري، " اللغة العربية والبحث العلمي "، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ع 1، 1 يناير 1989، ص 97.

الطالب من تحضير مذكرته أيضا إن لم يكن لديه خبرة ومهارة بحثية، تتأتى له بالتمرس على إنجاز أبحاث جيدة من الناحية اللغوية والمنهجية والفكرية. وهذا ليس بالأمر السهل لأنه يتطلب صبرا على مشقات العلم وطلبه، ذلك أن " البحث العلمي هو السبيل إلى المشاركة في حضارة هذا العصر، والإسهام في إغناء المعرفة البشرية، وهو في الوقت ذاته مطلب ينبغي تحقيقه وبذل الجهد والطاقة فيه لدواع قومية وحضارية وتنموية " ¹؛ فإذا لم يشارك الطالب ببحثه في إغناء المعرفة، ومواكبة ركب البحث العلمي، وتسخير لفائدة المجتمع والوطن ككل، فأى نفع يجدى من دراسته وتكوينه؟!

إذن، لا بد للطالب خلال مرحلة الليسانس، وانتهاء بمذكرتها، أن يكون قد أتم بكل تقنيات البحث العلمي الأكاديمي، وأن يكون قد طور ملكته اللغوية ومهاراته الكتابية التحريرية، حتى ينطلق - في مرحلة الماجستير وما بعدها من أبحاث - بثقة في تحضير أبحاثه وفي جعبته رصيد لا يستهان به من المعارف والمهارات، بحيث تصبح مشقة البحث العلمي من أحب المشقات وأعزها على قلبه.

3- كيف يحضر الطالب نفسه لإنجاز مذكرة التخرج :

3-1- أن يضع لنفسه هدفا، وبرنامجا لتحقيق هذا الهدف :

الإنسان - أيّ إنسان - بغير هدف وغاية يرمي تحقيقها هو إنسان ميت - على الأقل معنويا - فليله كنهاره ونهاره كليله، وغده كيومه، لا فرق بينهما. والطالب أكثر من غيره، لا بد أن يكون واعيا بضرورة تخطيط أهداف لدراسته وحياته ككل، أولها الهدف من دراسته الجامعية، ثم تأتي بعدها أهداف أخرى حسب طموح كل طالب وأولوياته. فإذا كان الطالب ذا هدف يوجهه في حياته الجامعية، فسيضع نصب عينيه لا الحصول على شهادة - فذلك تحصيل حاصل - وإنما الحصول على خبرة ومعرفة تفيد في حياته العملية، وتفيد غيره. فالطالب لا بد أن يتحصل على شهادته في آخر المطاف، لكنه لن يتساوى أبدا مع من تحصل على الشهادة وعلى تأهيل وتحصيل علمي يتيح له المساهمة في إثراء البحث العلمي، من خلال أبحاث جادة وورصينة في المستقبل.

والهدف لا يتحقق عشوائيا بدون برنامج صارم يلتزم به الطالب، ويتبعه بتصميم وعزم وصبر لتنفيذه. أما البرنامج فهو تخطيط لكيفية تحقيق الهدف بنظام، وبأقل وقت ممكن. لذا فعلى الطالب أن يخطط جيدا لهدفه، وأن يعزم على تنفيذ مخططة وبرنامج، متحليا بالصبر والمثابرة، حتى يصل إلى هذا الهدف المنشود في الوقت المحدد والمناسب. ²

ومن خلال حديثنا عن مذكرة التخرج، يتبين أن هدف الطالب الأوحد أثناء دراسته الجامعية هو أن يحصل المعارف والعلوم التي تؤهله - حينما يصل إلى سنته الجامعية الثالثة - لإنجاز بحث علمي جيد وجاد، وهذا الهدف يتحقق باعتماد برنامج يقوم

¹ شحاذة الخوري، " اللغة العربية والبحث العلمي "، ص 91.

² لمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع ينظر : د. صلاح الراشد، كيف تخطط لحياتك، مركز الراشد، الكويت، د/ط، د/ت.

على عدم اعتماد الطالب كلياً على أستاذه في تحصيله العلمي، فلا بد لذلك من القراءة والاطلاع والتوسع في المعارف، وطرح الآراء ومناقشتها، وإجراء البحوث الصفية بأكبر قدر من العلمية والمنهجية واللمسة الشخصية.

3-2- التوكل على الله والاستعانة به :

لن يكون لهدف الإنسان وبرنامجه أية قيمة أو منفعة إذا لم يرافقه توكل مخلص على الله تعالى، واستعانة به في كل الأمور، ليكون التوفيق، وليسهل كل صعب، ولتفتح كل الطرق المسدودة. أما الصلاة والدعاء فهما مفتاحا النجاح، فلا يمكن للطالب أن ينجح ويستمتع بثمره نجاحه إن فرط في صلاته، وإن لم يستعن بالله عن طريق الدعاء، واتباع الطريق المستقيم الذي يرضي الله تعالى؛ فالتوفيق في التحصيل العلمي، وفي الحياة بصفة عامة، لا يتم إلا بالارتباط بالله تعالى في السر والعلن؛ " ذلك أن هناك ارتباطاً بين القاعدة الإيمانية وبين سائر العلوم... ولذا كان العلماء ورثة الأنبياء لأنهم إذا أخلصوا وهدوا كانوا ممن شملتهم الآية الكريمة : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)، إنها كلها تؤدي إلى الله حين لا يستخدمها الهوى المنحرف للابتعاد عن الله كما هو صنيع المنهج الغربي في النهضة العلمية " ¹. ويقول الإمام الشافعي في هذا المعنى أيضاً، مبيناً أن المعصية تحرم المتعلم من نور الله، وهو العلم :

شَكَّوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءٍ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نَوْرٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي ²

3-3- القراءة وتنمية الملكة اللغوية :

للقراءة الإيجابية الفاحصة أكبر الأثر في مد الطالب بمخزون ثر من المفردات والتركيبات، عن طريقها تنمو ملكته اللغوية، ويملك ناصية لغته شفاهةً وكتابةً. وما يلحظه المتأمل في واقع تعامل الطلبة مع لغتهم العربية، من خلال أبحاثهم، وإجاباتهم في الامتحانات، وأيضاً في مذكراتهم، هو تدني مستواهم اللغوي، فأخطاء النحو والتركيب كثيرة، والأخطاء الإملائية أكثر، وهذا نتيجة سبب واحد هو عزوفهم عن القراءة منذ مرحلة الدراسة الابتدائية. وهذه المشكلة لن يقدر على حلها سوى الطلبة أنفسهم، عن طريق تدارك الأخطاء، والعودة إلى تعلم لغتهم العربية الصحيحة، بالقراءة المستمرة، واعتماد برنامج قرائي يومي في كتب التراث، والكتب الحديثة ذات المستوى اللغوي الجيد التي ينتخبها لهم أساتذتهم، ومشاركة القراءة والنقاش مع الآخرين، ليتمكنوا من استخدام لغتهم شفاهةً، والبراعة فيها كتابةً وتحريراً، وهذا ليس بالأمر الصعب، ولا المستحيل، " فالملكة اللسانية

¹ زهران محمد جبر عبد الحميد، في أصول البحث ومناهجه آليات وتأصيل، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسبوط، مصر، ط 1، 2005، ص 50.

² الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 87.

التي كان يتمتع بها العرب قديماً لم تكن جبلة وطبعاً، وإنما حصلت لمن حصلت له نتيجة للعرف والعادة، والمعيشة المستمرة للنطق الفصيح في بيئة الفرد اللغوية. فالملكة الصحيحة تتكون بتكرار الاستماع إلى اللغة الفصيحة، وممارستها كلاماً وتحدثاً¹ فإذا تعذر أخذ اللغة العربية الفصيحة شفاهة في عصرنا الحالي ومجتمعاتنا الحالية تماماً من الحديث بالفصحى، فإن القراءة يمكنها القيام بهذا الدور. ويرى الدكتور علي أحمد مدكور أن القراءة الصامتة - إضافة لفوائدها الأخرى - فإنها تؤدي إلى "زيادة حصيلة القارئ اللغوية والفكرية؛ لأن القراءة الصامتة تتيح للقارئ تأمل العبارات والتراكيب وعقد المقارنات بينها، والتفكير فيها، مما ينمي ثروته اللغوية، كما أنها تيسر له الهدوء الذي يمكنه من تعمق الأفكار ودراسة العلاقات بينها"²

3-4- القراءة وتنمية القدرة على البحث العلمي :

فالقدرة على البحث والاستقصاء هي في أصلها موهبة، لكنها تُنمى بكثرة القراءة في المجال الذي يرغب به الطالب، شرط أن تكون هذه القراءة قراءة إيجابية، يركز الطالب فيها على ما يقرأ، ويسلط عليه معول فكره؛ فلا يتقبل المعلومة حتى يقبلها تلقياً، ولا يتقبل الفكرة حتى يديرها في ذهنه متشككاً شكاً علمياً موضوعياً بناءً. وهكذا يتأقن الطالب زاد علمي نظري في المجال الذي اختاره، كما يصبح على دراية وخبرة بكيفية صياغة الأبحاث العلمية لغوياً، وكيفية كتابتها منهجياً، وطريقة توظيف المنهج العلمي فيها للخروج بنتائج على أكبر قدر من الدقة والموضوعية.

والبحث وإن كان موهبة لا تتاح للكثيرين، فإن الطالب بكثرة ممارسته للقراءة الجادة، ودرسته المتواصلة لإنجاز الأبحاث المنهجية، لا بد أن تتكون لديه الموهبة من خلال:

1- قدرة الطالب على اختيار موضوع جيد وجديد للبحث من خلال قراءته.

2- قدرته على وضع تخطيط دقيق للموضوع الذي اختاره.

3- قدرته في نقد الأفكار والبرهنة على فكرته.

4- قدرته على المناقشة والفهم، وتوجيه الأنظار إلى أفكار جديدة من خلال المناقشات.³

3-5- الإلمام بكل تقنيات البحث العلمي الأكاديمي وممارستها في الأبحاث الصفية :

لكي يعود الطالب نفسه على التحضير المنهجي لبحثه، وعلى كتابته كتابة منهجية صحيحة، لا بد عليه أن يتعرف على كل التقنيات المنهجية المستخدمة في الأبحاث العلمية، ويمارسها في أثناء قيامه بالأبحاث المصغرة الصفية، التي يكلفه بها أساتذته تعميقاً لتحصيله العلمي في المحاضرات.

¹ علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، د/ط، 2006، ص 62.

² المرجع نفسه، ص 139-140.

³ زهران محمد جبر عبد الحميد، في أصول البحث ومناهجه آليات وتأصيل، ص 36.

وإذا كان كثير من الطلبة يتذمرون من الأبحاث الصفية، متعللين بكثرة المحاضرات وبضييق الوقت - جاهلين لنفعها وقيمتها - فإن الطالب الذكي الناجح هو الذي يستثمر هذه الأبحاث للتدريب على ممارسة تقنيات البحث العلمي، ولا ينجزها فقط من أجل التخلص من واجب ثقيل. وهكذا يتعود على الكتابة المنهجية الصحيحة؛ فمن خلال التجربة والخطأ وتصحيحه من طرف أستاذ المادة، يتفادى الطالب كثيرا من الأخطاء، ويتعود على كتابة البحث العلمي الناجح.

وتقنيات البحث العلمي نوعان : نوع عملي يعلم الطالب مراحل البحث العلمي، وكيف يتدرج في تحضير بحثه وإنجازه من اختيار موضوعه، مرورا بوضع إشكاليته وخطته، وكيفية جمع المادة العلمية واستثمارها في البحث، إلى أن يصل البحث إلى مراحل النهائية التي تتوج بطباعته ومناقشته. ونوع نظري يطبقه الطالب في بحثه ويتعلق بكيفية كتابة البحث كتابة منهجية صحيحة، مثلا عن طريق معرفة كيفية الاقتباس من المراجع وشروطه وأنواعه، وكيفية تدوين الهوامش، وكيفية استخدام علامات الترقيم، وتقسيم الكتابة إلى فقرات مترابطة، والدقة في نقل المعلومات والأسماء والأشعار وغيرها... وهذان النوعان يتقنهما الطالب ويتعود عليهما بالممارسة، وليس تلقينا وحفظا.

3-6- تنمية قدرة الطالب على معالجة المعلومات وتحليلها وتفسيرها :

مع أننا ذكرنا أن ممارسة القراءة تنمي هذه القدرة، إلا أنه لا غنى للطالب عن ممارستها حقيقة في أبحاثه الصفية، فعندما يجمع الطالب مادته العلمية لاستثمارها في بحثه بشكل اقتباسات تخدم موضوعه، سيجد نفسه عاجزا أمامها إن لم يتدرب على معالجة المعلومات الواردة فيها معالجة علمية هدفها التعليق على المادة العلمية، أو تحليلها ومناقشتها حينما يتطلب الأمر ذلك، أو تفسير الغامض والمبهم فيها، ومعنى هذا أن يتعود الطالب أن لا يتقبل كل معلومة أو فكرة إلا بعد تحليلها ومناقشتها وإبداء رأيه فيها؛ أي " أن يفحص بعمق كل ما يقرأ، وألا يسلم بما قرره غيره من نتائج، بل يدرس هو الأحداث والأسباب مع مقارنة النصوص بعضها ببعض، لتبرز شخصيته في كل مراحل البحث، شخصية إيجابية مؤثرة، ولكن حذار أن يبالغ الطالب في ذلك فيجادل بالحق وبالباطل، فهذا ما يجب أن يبعد عنه طالب الأبحاث كل البعد. وأخيرا فالرسالة فرصة لثبوت الطالب سعة اطلاعه، وعمق تفكيره، وقوته في النقد، والتبصير فيما يصادفه من أمور.¹ وحتى طالب مرحلة الليسانس يمكنه أن يصل إلى الإجابة في مذكرته، إن كان الشك العلمي رائده في كل ما يقرأ، والتحليل والمناقشة ديدنه في كل ما يكتب، " فالشك عملية عقلية واعية، ووسيلة علمية في البحث والتقصي الفطن، والتتبع الدقيق، من أجل التعرف بقناعة وانتباه"²، وبهذا يكون للمذكرة طابع شخصي من صاحبها وفكره الخاص، ولا تعود مجرد نصوص مُقتبسة، مُجمّعة من هنا وهناك.

3-7- الاطلاع على المناهج المستخدمة في الأبحاث العلمية :

¹ أحمد شليبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 6، 1968، ص 15.

² عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، ص 259.

البحث العلمي لا يمكن أن يُنجز إلا بالاستعانة بمنهج علمي يوافق موضوعه ويناسبه، فيسدد خطى الباحث، ويؤدي به إلى نتائج على أكبر قدر من الدقة والموضوعية. ومن هنا فعلى الطالب أن يتعود على استخدام هذه المناهج، بعد أن يكون قد اطلع عليها نظريا في محاضراته، فاعلم النظري لا يكفي، وينبغي أن يُشفع بالتطبيق العملي والتعود الدائم على استخدام هذه المناهج، والتدريب عليها في الأبحاث الصفية المصغرة. وبذلك يجد الطالب نفسه في سنته الثالثة من مرحلة الليسانس وقد اطلع على معظم المناهج التي يحتاجها الباحث العلمي، وما عليه سوى أن يختار أنسبها لموضوع مذكرته. " وإذا ما أحسن الباحث اختيار المنهج في علاقته بالمشكلة التي يبحث فيها، ثم فهم بوضوح كلا من المناهج وأسباب استخدامها فيجب أن يُتاح له بعد ذلك تجميع أكبر عدد من البيانات والمعلومات الكافية وتناولها وتحليلها وتفسيرها بشكل سليم، وذلك لتأييد وتدعيم نتائج صحيحة"¹ أما أن يجد الطالب نفسه في سنته الثالثة وهو يجهل تماما كيف يستخدم منهاجها في تسيير موضوع مذكرته، فهذا ما سيعرقل سير بحثه، ويؤدي به إلى الحيرة والتخبط واليأس، وإضاعة وقت ثمين في الاطلاع من جديد على كيفية تطبيق المناهج في الأبحاث العلمية، وفي الأخير ستكون مذكرته دون المستوى المطلوب.

3-8- البحث المستمر عن الإشكاليات :

على الطالب خلال دراسته الجامعية أن يكون فطنا، فلا تمر عليه محاضرة في مادة من المواد إلا وقد استمع إليها بفكره، وسجل ملاحظاته وتسألاته حول نقاط منها تحتاج إلى مزيد من البحث والتوسع، فرما يجد إشكاليات جديدة، أو إشكاليات لم يعطها الباحثون حقها من البحث والتنقيب. وهذا الأمر يتاح للطالب الذي لا يتقبل أي معلومة ولو من أستاذه، دون أن يناقشها، أو يواصل البحث عنها في مراجعها. كما أن الطالب يمكنه العثور على الإشكاليات الجديدة من خلال قراءاته الحرة المعمقة الفطنة الناقدة في المراجع الخاصة بالمواضيع التي يميل إلى القراءة فيها. " إن المشكلة هي وجود الباحث أمام تساؤلات أو غموض مع وجود رغبة لديه في الوصول إلى الحقيقة. فالمشكلات تنشأ نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته، لذلك فالنشاطات التي يقوم بها أو يمارسها الإنسان في حياته اليومية مصادر هامة لتزويده بالمشكلات التي تستحق الدراسة."²

هذه الإشكاليات، في الأخير، قد يستفيد الطالب منها في إنجاز مذكرته التي قد يقترح عنوانها بنفسه، أو تكون نواة لبحث علمي في المستقبل، حسب الاتجاه أو التخصص الذي يرغب به؛ ولا يخفى ما للرغبة الخاصة في موضوع ما من أثر بتحفيز الطالب على إنجازها، والصبر على مشقاته.

3-9- البحث عن المعلومات في المكتبات وشبكة الأنترنت :

¹ زهران محمد جبر عبد الحميد، في أصول البحث ومناهجه آليات وتأصيل، ص 245.

² رشيدة سبتي، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014، ص 43.

مع تطور التكنولوجيات الحديثة وظهور الشبكات، أصبح الحصول على المعلومات أكثر يسرا وسهولة مما مضى، وهذا في حد ذاته منجز إيجابي يخدم البحث العلمي ويطوره وييسر مشقاته، كمشقة السفر للحصول على مراجع من أماكن بعيدة، "ويمكن للباحث أن يُعد قائمة كاملة بالمراجع التي يحتاجها بعد استشارته لعدد من قواعد البيانات المتوفرة في أنحاء مختلفة من العالم، والتي يمكن الوصول إليها باستخدام الحاسب الآلي"¹. لكن أن تُستغل هذه التكنولوجيات الحديثة استغلالا سلبيا للحصول على صيغ جاهزة للأبحاث العلمية، فهذا مما يضر البحث العلمي ويوقف سيره، ويعطل فوائده المرجحة. وهذا ما يفعله معظم الطلبة مع أبحاثهم الصفية، فهم يقومون بعمليات القص واللصق من هنا وهناك للحصول على أبحاث جاهزة حسب الطلب، دون أدنى جهد أو تفكير، مواصلة منهم لسلوكيات ألفوها في مراحلهم الدراسية السابقة، وجهلا منهم - أو تجاهلا - لأهمية البحث العلمي في رقي الأمم وتطورها. وهذا له على الأقل ثلاث سيئات :

1- تعطيل ملكة التفكير الذاتي عند الطالب.

2- الإضرار بالأمانة العلمية عن طريق التعود على استغلال جهود الآخرين دون وازع من ضمير، والمساس بحقوق الباحثين الأصليين.

3- عدم اكتساب الطالب للخبرة والدربة لإنجاز أبحاث علمية حقيقية.

والأولى أن يستغل الطالب المكتبة والوسائل التكنولوجية الحديثة لمساعدته في إنجاز بحثه، ولتسهيل الحصول على المادة العلمية، بطريقة لا تضر به وببحثه وبجامعته وبوطنه ككل، لا أن يجعلها وسيلة للحصول على أبحاث جاهزة، أو معلومات مجمعة، دون أدنى جهد منه أو فائدة تُرجى من بحثه.

ونخلص من هذه الدراسة إلى توصيات أهمها :

1- تذكير الطلبة في الوسط الجامعي بأهمية القراءة، وحثهم على القراءة والاطلاع بتكليفهم بقراءة مراجع ومناقشتها، وتنظيم ندوات ولقاءات حول أهمية القراءة، وأسباب تدنيها في أوساط الطلبة، وعلاج هذه المشكلة الحساسة والمصيرية.

2- حث الطلبة على ممارسة البحث العلمي الصحيح منهجا ومنهجية من خلال استثمار الأبحاث الصفية ومناقشة أخطائها.

3- تذكير الطلبة الدائم بأهمية البحث العلمي وآثاره على الشعوب والأمم، من خلال الأمثلة الحية من تاريخنا القديم، ومن عالمنا المعاصر.

¹ رجاء محمود أبو علام، المرشد في إعداد الرسائل الجامعية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2009، ص 76.

وخلاصة القول إننا اليوم أحوج منا من أي وقت مضى لتطوير البحث العلمي، والوقوف به، للخروج من موقع ثقافة الاستهلاك، إلى موقع ثقافة الإنتاج والاعتماد على النفس، مع ما يحدث في عالمنا من متغيرات. وهذا يستلزم من الطلبة – ومنهم أساتذة الغد ومعلموه – أن يعوا وبشدة أهمية البحث العلمي ودوره الهام في تطوير بلادهم والسير بها إلى الأحسن، فيعملوا مستقبلاً على تربية الأجيال القادمة وتنشئتهم لا على التلقين والحفظ وتعطيل ملكة الفكر، وإنما تعويدهم البحث والاستقصاء والاعتماد على الفكر الذاتي الخلاق لاستنباط الحقائق من معطيات سابقة.

المراجع :

- 1- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 6، 1968.
- 2 - رجاء محمود أبو علام، المرشد في إعداد الرسائل الجامعية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط 1، 2009.
- 3 - رشيدة سبتي، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار التنوير، الجزائر، ط 1، 2014.
- 4 - زهران محمد جبر عبد الحميد، في أصول البحث ومناهجه آليات وتأصيل، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسبوط، مصر، ط 1، 2005.
- 5 - الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سبنا، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 6 - شحاذة الخوري، " اللغة العربية والبحث العلمي "، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ع 1، 1 يناير 1989.
- 7 - صلاح الراشد، كيف تخطط لحياتك، مركز الراشد، الكويت، د/ط، د/ت.
- 8 - عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، د/ط، د/ت.
- 9 - علي أحمد مذكور، تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، د/ط، 2006.